دور القرآن الكريم في قراءة وتوظيف حركة التاريخ

د.بخيتة حمد أحمد الجزولي [1]

مستخلص البحث

بما أن القرآن الكريم يمثل دستور نهضة إنسانية شاملة، لذا فإنه استخدم عنصر التاريخ في كثير من آياته المباركة كمادة أساسية في تشكيل البنية الثقافية للعقل المسلم، وعليه عمل القرآن الكريم على توظيف أحداث ووقائع الماضي بشكل يؤدي لنتائج تطبيقية تتصل بسلوكنا في الحياة، ومارس القرآن الكريم عملية التوظيف لحركة التاريخ عبر مراحل منها العرض والتجميع للأحداث والوقائع التاريخية المختلفة وفق صور وأساليب متنوعة، كذلك مرحلة استخلاص القوانين والسنن التي تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية مستمده من صميم الأحداث والوقائع للتاريخ، وأن القرآن الكريم يوظف التاريخ للاتعاظ والاعتبار بما جرى للمجتمعات السابقة، كما انطلق القرآن العزيز في توظيفه لحركة التاريخ من الغايات الأخلاقية التربوية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية في بناء الإنسان والحياة بناءً صالحاً، وقد شمل التوظيف القرآني، للتاريخ مجالات مختلفة من الحياة منها مجال الاتعاظ والعبرة وقد اشار القرآن الكريم لهذا المجال، كذلك مجال الفكر والثقافة الذي أحدث فيه القرآن الكريم ثورة هائلة من خلال إثارة الكثير من الموضوعات التي كان يجهلها الإنسان، أيضاً مجال الفكر والسياسية والحكم فإن الإسلام دين سياسة وعمل سياسي، وأن القرآن الكريم كثيراً ما تحدث عن الفكر والعمل السياسي الإسلامي من خلال عروضه التاريخية، كذلك القرآن الكريم عمل على توظيف حركة الجهاد والمرابطة، والقرآن الكريم حشد العديد من آياته نحو فريضة المرابطة والجهاد قال تعالى: (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) سورة الأنفال الآية(٣٩).

كذلك من مجالات توظيف القرآن الكريم لحركة التاريخ مجال الاجتماع والحضارة، وهنالك العديد من العروض التاريخية الواردة في القرآن المجيد في هذا المجال، قال تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) سورة هود الآية(٦١) كذلك أشار القرآن الكريم لحركة المجتمع، وأعطى القرآن الكريم المجتمع كيانه وشخصيته ودوره المسؤول في التاريخ، كذلك أشار القرآن الكريم إلى حركة الحضارة وعناصر هذه الحضارة، وقد أشار القرآن الكريم إلى نهوض المجتمعات والحضارات وانحطاطها، وعليه إذا أردنا الاهتداء إلى فقه حركة التاريخ والتوصل إلى تفسيرها وتعليليها ومعرفة عناصرها الأساسية بعلمية وموضوعية فإن القرآن الكريم خير سبيل إلى ذلك كما أخبرنا الحق سبحانه وتعالى: (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) سورة النساء الآية(٢٦).

١ - استاذ مساعد – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم- كلية التربية.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفصل الأول
أساسيات البحث

مقدمة :

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين وعلى أصحابه المجاهدين ومن والاه إلى يوم الدين.

أن دراسة حركة التاريخ البشري، تنطوي على أهمية بالغة بما تحمله من فوائد جليلة، ومعطيات هامة بالنسبة للأمم والشعوب سواء على مستوى قياداتها الحاكمة، أو نخبها المفكرة أو فئاتها المثقفة أوعموم جماهيرها التواقة إلى العيش الكريم ناهيك عن خطورتها البالغة، لما تتضمنه من اشارات متنوعة، وتوظيفات هادفة وتحليلات هامة تتعلق بواقعنا الراهن بكل ألوانه واشكالاته الحاضرة. ولعل من أهم الفوائد المرشحة عن دراسة حركة التاريخ أنها تعرف الفرد والأمة بموضع كل منهما ودوره في مسيرة الحياة الإنسانية، فالتبصر بحركة التاريخ والوعي التام بعناصرهيزود الإنسان بالرؤية الواضحة لمجريات الواقع الإنساني في الماضي والحاضر ويمنحه القابلية على مرونة التحكم في صياغة المستقبل وسيجنب الجميع أهوال الزمان وغصص الدهر.

وبما أن القرآن الكريم يمثل دستور النهضة الإنسانية الشاملة لذا فإن استخدام عنصر التاريخ في كثير من آياته المباركة كمادة أساسية في تشكيل البنية الأساسية والثقافية للعقل المسلم لترشيد حركته في عمليات البناء والإبداع الحضاري فيعمل على توظيف وقائع وأحداث الماضي بشكل يؤدي إلى نتائج تطبيقية تتصل بسلوكنا في الحياة لتحدد مواقفنا أمام الإحداث ولا يهدف القرآن الكريم من توظيف التاريخ إلى استرجاع الماضي وأحياء النزعة التاريخية التي تحاول اختزال الحاضر والمستقبل وتجميدهما في الماضي، بل يهدف إلى تعميق الرؤية العملية للإنسان وإثراءتجربته بتجارب الماضي لجعله أكثر قدرة على ممارسة الدور الحضاري في بناء الحاضر وعليه جاء القرآن الكريم ليحفل بمئات الآيات المباركة التي تعالج قضايا التاريخ وتستخلص منها القيم الإنسانية والتوجيهات الحضارية التي تفيدها رحلة الأمم السابقة في مراحل قوتها وضعفها.

كما جاء في خطابه سبحانه وتعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾[٢].

٢ - سورة آل عمران، الآية(١٣٧)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أسباب اختيار الموضوع:

١. حاجتنا الماسة نحن المسلمين في هذا العصر لمعرفة وفهم كيف تجري حركة التاريخ وما هو دورنا، وموقعنا فيها وكيف نكتشف ذواتنا ونبث فيها روح الإبداع والتجديد والتأصيل على هدى القرآن الكريم.

٢. أن للقرآن الكريم أثر بالغ وحضور دائم في إثراء ميادين المعرفة البشرية في مختلف نواحي الحياة.

٣. سبب أخر هو تلك الصيحة المحمومة التي أطلقتها بعض دوائر الأبحاث الاستعمارية تحت عنوان نهاية التاريخ.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن هنالك علاقة وثيقة بين القرآن الكريم وحركة التاريخ ولابد من توضح هذه العلاقة من خلال طرح بعض الأسئلة الفرعية:

١. هل للقرآن الكريم دور في توظيف حركة التاريخ في مسيرة الفرد والأمة؟
٢. إلى أي مدى استخدم القرآن الكريم عنصر التاريخ في آياته المباركة؟
٣. هل يهدف القرآن الكريم من توظيف التاريخ إلى استرجاع الماضي وإحياء النزعة التاريخية فقط؟
٤. كيف سعى القرآن المجيد في توجيه الفكر والثقافة الإسلامية في اتجاه البناء الحضاري؟
٥. ما هو الهدف من دراسة القرآن المجيد من منظور اجتماعي دقيق؟

فرضيات البحث:

١. نعم للقرآن دور في توظيف حركة التاريخ في مسيرة الفرد والأمة لأن القرآن الكريم يوظف التاريخ للاتعاظ والاعتبار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يوسف ١١١. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾النازعات٢٦.

٢. اتخذ القرآن الكريم عنصر التاريخ في جلّ آياته من أجل غايات أخلاقية وتربوية تتصل بطبيعة بناء الإنسان والمجتمع بناء صالح.

٣. يهدف القرآن الكريم إلى تعميق الرؤية العملية للإنسان وإغناء تجربته بتجارب الماضي حتى يصبح أكثر قدرةً على ممارسة الدور الحضاري في بناء الحاضر والإعداد للمستقبل ، لذلك حفل القرآن الكريم بمئات الآيات التي تعالج قضايا التاريخ.

٤. وضح القرآن الكريم ذلك عندما حدد للمسلم رؤيته للعالم وتاريخه ومستقبله من خلال أصول الدين المتمثلة في الركائز العقدية ، الوحدانية، النبوة .

٥. إن دراسة القرآن الكريم من منظور اجتماعي دقيق تقودنا إلى أن هذا الكتاب المجيد العظيم قد بيَّن منهج الحضارات الإنسانية ودلَّ على سنن إقامتها وبيَّن عوامل أو أسباب هلاك الأمم ودمار الحضارات وألزم الناس بإتباعها ليسعدوا في الدنيا والآخرة ومن ذلك قوله تعالى عن قوم هو: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾هود٦١

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أهداف البحث:

تتمثلأهداف البحث في الآتي:-

أولاً: أثرالوعي بالقرآن الكريم في توظيف حركة التاريخ في مسيرة الفرد والأمة

ثانياً: توضيح صلة التاريخ بالقرآن الكريم .

ثالثاً: معرفة الثقافة القرآنية عن حركة التاريخ وتوظيفها .

رابعاً: معرفة الملامح المهمة والعامة لتوظيف القرآن الكريم لحركة التاريخ.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث للآتي:

١. التاريخ بالنسبة للإنسان ليس مجرد ماضي قد تصرمو أنتهىبل نهر متجدد كبير يجري مع الزمن وقد بدأت حركة التاريخ منذ أن خلق الله تعالى آدم وقال للملائكة﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٣]

٢. إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي الذي تعرفنا من خلاله بصدق وموضوعية على تاريخ الأمم السابقة والأجيال الغابرة﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾[٤].

٣. وعليه فإن دراسته بوعي وتأمل كفيلة بأن تعلمنا كيف نقرأ تاريخنا المعاصر.

القرآن الكريم لكونه المصدر الإلهي الأول نحو توجيه الإنسان وبناء الحياة بالدعوة الجادة إلى النظر والتدبر في حركة التاريخ، لمالها من آثار معرفية وعملية على حاضر الإنسان ومستقبله.

٤. تبيان آلية القرآن الكريم في كيفية استثمار حركة التاريخ وتسخيرها دينياً نحو بناء الإنسان والحياة بتوظيفه للتاريخ في مجالات مختلفة.

حدود البحث المكانية:

دراسة التاريخ من خلال آيات القرآن الكريم في العالم الواسع.

الحدود الزمانية: مارس ٢٠١٥م.

منهج البحث:

منهج تاريخي تحليلي استنباطي لا استنتاج العلاقة بين القرآن الكريم وحركة التاريخ.

٣ - سورة الحجر، الآية(٢٩).

٤ - سورة طه، الآية(٩٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مصادر جمع المعلومات:

المصادر الأولية الكتاب والسنة والكتب التاريخية.

الصعوبات التي واجهة الباحث:

١. المعلومات عن هذا الموضوع مبعثرة في طيات العديد من المصادر والمراجع.

٢. قلة الإمكانيات.

تنظيم البحث:

يشتمل البحث على خمسة فصول في الفصل الأول أساسيات البحث ويشتمل على المقدمة ، مشكلة البحث ، الفرضيات، أسباب اختيار البحث، أهداف البحث، وأهميته ومناهجه وحدوده المكانية والزمانية ، ومصادر جمع المعلومات والصعوبات التي واجهة الباحثة .

الفصل الثاني: يشتمل على مجالات التوظيف القرآني للتاريخ

والفصل الثالث: يوضح حركة المجتمع في التاريخ

والفصل الرابع: يوضح حركة الحضارة في القرآن الكريم

وجاء الفصل الخامس يوضح نهوض المجتمعات والحضارات وانحطاطها في القرآن الكريم ثم الخاتمة، النتائج والتوصيات.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفصل الثاني

مجالات التوظيف القرآني للتاريخ

انطلق القرآن الكريم في توظيفه لحركة التاريخ من الغايات الأخلاقية التربوية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية، في بناء الإنسان والحياة، بناء صالحاً فعليه تعامل مع التاريخ بنظرة إيجابية حركية شمولية، دون أن يتوقف عند جزئيات الواقع والأحداث إلا بمقدار ما تكون شواهد ورموز تخدم تلك الأغراض التربوية الإنسانية وشمل التوظيف القرآني للتاريخ مجالات مختلفة من الحياة [٥] منها.

المبحث الأول: مجال الاتعاظ والعبرة

وردت مفردات (العبرة) والموعظة)و(الذكري) و(الهدي) في الآيات القرآنية التي تحدثت عن وقائع التاريخ لتكشف عن طبيعة المغزي والمعنى القرآني من رواء ذلك فقال تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٦].

﴿ وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧]،﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٨]، القرآن الكريم اتخذ عنصر التاريخ في آياته الكريمة لغايات أخلاقية تربوية، تتصل بطبيعة بناء الإنسان والمجتمع بناءً صالحاً وبما أن هوية ورسالة الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامي رسالة تربوية، فالتاريخ ينبغي أن يخدم الرسالة التربوية الأخلاقية في علاقات المسلم الداخلية والخارجية.

كما ينبغي أن يخدم الرسالة والروح الرسالية في العالم وكلما حدث في سلوك المسلم أو سلوك الجماعة الإسلامية انحراف عن الأخلاقية أو انحراف عن الروح الرسالية في ممارسة الحياة والتعامل مع الآخرين فإن التاريخ يستعمل إلى جانب الرسائل التربوية الأخرى والتنظيمية لتصحيح النظرة الخطأ وتقويم مسار الفرد والمجتمع[٩]، وقد تنبه كل مؤرخي الإسلام لهذه الوظيفة التاريخية (الموعظة والاعتبار) قال: علي بن الحسين المسعودي عن التاريخ إنه علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق

٥- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام على، الطبعة الرابعة، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر،١٩٩٧م، ص:٩٠.

٦- سورة يوسف ،الآية(١١)

٧- سورة هود ،الآية(١٢٠)

٨- سورة النحل ،الآية(٨٩)

٩- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ مرجع سابق، ص:٩١.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستظرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس وآداب سياسة الملوك وغيرها منه نلتمس[١٠].

وقال أبو علي، مسكويه الرازي أني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت أخبار البلدان وكتب التواريخ وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة في أمور لا تزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبهها وشكلها ورأيت هذا الضرب من الأحداث إذا عرف له مثال مما تقدم، وتجربة لمن سلف فاتخذ إماماً يقتدي به حذر مما ابتلي قوم، تمسك بما سعد به قوم، فإن أمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، وصار جميع مايحفظه الإنسان من هذا الضرب كأنه تجارب له، وقد دفع إليها، وأحتنك بها، وكأنه قد عاش ذلك الزمان كله، وباشر تلك الأحوال بنفسه[١١].

قال: شمس الدين السخاوي عن التاريخ وهو علم غزير النفع كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله، وجرب الأمور بأسرها وباشر الأحوال بنفسه فيعزز عقله ويصير مجرباً غير غر ولا غمر[١٢]، أما في العصر الحديث، فقد ذهب لورد اكتون في رسالة إلى كريبتون إلى المعنى نفسه بقوله: (إن القانون الخلقي هو سر سلطة التاريخ وهيبته وفائدته وأن التاريخ أن يكون حكما بين المتخاصمين ودليلا للحائرين.

والملاحظ أن القرآن الكريم، عندما يقدم تعاليمه وتوجيهاته التربوية والأخلاقية للإنسان والمجتمع يستعين بدروس وشواهد من أحوال الماضينوما يجري عليهم من طوارق الدهر ونوازل الأيام وما تعرضوا له من النكبات والآلام، وما أصابهم من الهلاك والدمار، ولعل هذا الجانب هو السمة البارزة من سمات القرآن الكريم وإن لم تكن أثمن سماته ولا أصلها[١٣].

المبحث الثاني: مجال الفكر والثقافة:

القرآن الكريم أحدث ثورة هائلة في عالم الفكر والثقافة الإنسانية، من خلال إنارته العديد من الموضوعات التي كان يجهلها الإنسان، ما دفعه نحو البحث والعلم والمعرفة واخرجه من الخرافة والجهل لأن الجهل الذي لا يعترف به تتولد منه في الغالب ضلالات[١٤].

وهذا ما عاشه الناس قبل الإسلام خصوصاً عرب الحجاز وبدو نجد كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١٥].

١٠- محمد عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م ،ص:١٧.

١١- أبو علي مسكويه، تجارب الأمم، تحقيق الدكتور أبو القاسم أمام ،دار سروش، طهران، إيران ، (١٤٠٧ه/١٩٨٧م)ج١،ص:٢١.

١٢- السخاوي، مصدر سابق،س:١٤.

١٣- محمد عبد الله دراز، دستورالأخلاق في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م.ص:٨.

١٤- جان فورآستيه،معايير الفكر العلمي،ترجمة فايزكم نقش،الطبعة الثانية، بيروت١٩٨٤م،ص:٣٧.

١٥- سورة الجمعة، الآية(٢٠).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والفكر في المفهوم الحضاري هو المعلومات والشرائع والمناهج والقيم التي تقوّم شخصية الأمة الثقافية والحضارية، وتعطيها سمتها المميزة لها عن الأمم الأخرى ويرسم لها دورها في حركة التاريخ[١٦].أما الثقافة فهي السلوك أو نمط الحياة وطريقة العمل والتفكير والشعور الذي يميز مجتمعاً من المجتمعات[١٧]، القرآن الكريم يحرض العقل البشري نحو التفكير الهادف والمنتج عند إجالة النظر والتأمل في آيات الله تعالى المنبثقة في الأفاق والأنفس قال تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[١٨]،﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١٩]، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢٠] .وقد تنوعت وسائل وأدوات التفكير في القرآن الكريم ومنها التفكير في التاريخ وفي حياة ومصير الأمم السابقة[٢١]،قالتعالى:﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢٢]. كما آثار القرآن الكريم الفكر البشري، نحو البحث والمعرفة، لتشخيص السنن والقوانين التي تحكم حركة التاريخ، والتأمل في سيرة الماضين يقول: تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[٢٣]ويقول:﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[٢٤]،وعاقبة الذين من قبلهم، هي من صميم الدراسة التاريخية (عاقبة) ربط بين سبب ونتيجة، لا مجرد رصد لواقع تاريخي هذه العاقبة تحدث إذا توفرت مقدماتها وهذا الترابط هو سنن أو قوانين الحياة[٢٥].وكما يقول: محمد إقبال (التاريخ) أو بتعبير القرآن أيام الله وهو ثالث مصادر المعرفة الإنسانية بناء على ما جاء في القرآن الكريم[٢٦]، لهذا تعددت الآيات التي ترد فيها عبارات الحث والترغيب في السير في الأرض والنظر في أحوال الماضين وما أصابهم، وكثيراً ما تختتم بعبارات لعلمهم يتفكرون، أفلا يعقلون، ولعلهم يفقهون.....الخ وأن الهدف من السير في الأرض هو اكتشاف السنن ما دام الواقع المعاش لا يتيح للمرء

١٦- الشيخ محمد مهدي ،مرجع سابق ،ص:٢٢٥.

١٧- إبراهيم الحيدري،الحضارة والمدنية أطروحات في النظرية الاجتماعية والمجتمع،الجزائر، عنابة ١٩٨٣م،ص:٤٤.

١٨- سورة فصلت، الآية(٥٣).

١٩- سورة البقرة، الآية(٢٤٢).

٢٠- سورة الحديد، الآية(١٧).

٢١- الشيخ مرتضى المطهري،التربية والتعليم في السودان،بيروت،دار الهادي ١٩٩٣م،ص:٢٢٥.

٢٢- سورة الأعراف، الآية(١٧٦).

٢٣- سورة محمد، الآية(٣).

٢٤- سورة آل عمران، الآية(١٣٧).

٢٥- عبد العزيز كامل، القرآن والتاريخ، مجلة عالم الفكر ،١٩٨٢م،ج٢،ص:٤٤.

٢٦- محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود،القاهرة،١٩٦٨منص:١٥٩.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أن يرى الصورة كاملة بكل أبعادها والسير في الأرض ليس سيراً في مكان فقط ولكنه أيضا سير في الزمان حتى نرى قصة البشرية كاملة في رشدها وغيها، والعواقب التي آلت اليها[٢٧]، وقد غاص القرآن الكريم بالفكر الإنساني نحو أعماق التاريخ وبداياته الأولى، عندما ما نقله إلى النظر والتأمل في الصفحات الأولى، لخلق الإنسانوالظروف والعمليات التي رافقته قال: تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ× قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢٨].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢٩].فقد خص القرآن المجيد مشاهد خلق الإنسان الأول وما مر به من صراع حاد مع عدوه إبليس ذلك الصراع الذي شكل بداية الانعطاف الحضاري في حركة التاريخ[٣٠]،﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ×وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ× قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ × قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ×وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ×وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ× فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ×فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ × قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ×وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣١].

حيثما تنقلنا في أرجاء القرآن الفسيحة لقراءة الآيات والمقاطع الخاصة بحركة التاريخ البشري، وجدناها ترتبط ارتباطا عضويا أصيلاً بالنظرة العقدية للإسلام، فهي تحمل بين طياتها أفكاراً ومفاهيم تدخل في تأسيس المنظومة العقائدية لهذا الدين، وتؤسس

٢٧- عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، الطبعة الثانية، بيروت، الدار الشامية ١٩٩٨م،ص:٢٣.

٢٨- سورة العنكبوت، الآيتان(١٩-٢٠).

٢٩- سورة العنكبوت، الآية(٢٠).

٣٠- محمد مهدي شمس الدين، مرجع سابق،ص:٤٠..

٣١- سورة البقرة الآيات من(٣٠-٣٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ثقافة المسلم الشاملة للكون والحياة بذلك تكون العروض التاريخية في القرآن الكريم قد أعطت العقيدة الإسلامية تصوراً تاريخياً واضحاً للكون منذ الخلق حتى يوم القيامة، وربطت بين المبدأ أو المنتهي بحلقات الأنبياء، وأعطت لمبدأ الخلق صورة لا تقل عنها وضوحاً صورة الآخرة وجعلت مابين الطرفين فترة عبور[٣٢].

أذن الفتح القرآني الجليل القائل بأن للساحة التاريخية سنن وضوابط هو الذي مهد إلى تنبيه الفكر البشري[٣٣]، أن يتعمق في دراسة حركة التاريخ، ليخرج بالعقل الإنساني من نظرته السطحية الظاهرة للتاريخ إلى النظرة العميقة الواعية التي تربط بين الأسباب والمسببات، فجعلت من العقل البشري (عقلية تركيبية) تملك القدرة على الرؤية الاستشرافية التي تطل من قوة حشود الظواهر بحثاً عن العلائق والارتباطات، ووصولاً إلى الحقيقة المرجاة[٣٤].

المبحث الثالث: مجال السياسة والحكم:

يحتل الفكر السياسي والمفاهيم السياسية، مساحة واسعة من الفكر الإسلامي فالإسلام دين سياسة وعمل سياسي ويعتبر العمل والجهاد السياسي في الإسلام في طليعة مهام ومسؤوليات الإنسان المسلم قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣٥].

وكثيراً ماتحدث القرآن الكريم عن الفكر والعمل السياسي الإسلامي خلال عروضه التاريخيه، حيث العلاقة الوثيقة بين أحداث التاريخ والعلوم السياسية فقد بين البروفيسور (سيلي) مدى الارتباط الوثيق بينهما بقوله: (إن علوم السياسة هي ثمرة التاريخ وإن التاريخ هو جذر علم السياسة)[٣٦].

إن استرداد التاريخالوقائع التي وردت في القرآن الكريم ودراستها وتحليلها وفقا لمناهج الاستقراء والاستدلال والمقارنة يكشف عن طبيعة وجهة التاريخ السياسي الذي عاشته البشرية منذ بدء الخليقة حتى يومنا الحاضر كما يضع بين أيدينا تجربة سياسية هائلة كفيلة بأن تمنحنا ثقافةً ووعياً سياسياً يمنعنا من السقوط في أحضان الضلال ومرديات الهوى بذلك يصبح التاريخ هو المربي الشريف للمدنيات الحديثة ولقد مارس

٣٢- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم الملايين،١٩٨٣م،ج١،ص:٥٨.

٣٣- سميح عاطف الزين، حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي، بيروت، دار الكتاب اللبناني،١٩٨٥م،ص: ٢١.

٣٤- عماد الدين خليل،حول إعادة تشكليل العقل المسلم،بيروت،مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ه،ص:٤٩

٣٥- سورة آل عمران، الآية(١٠٤).

٣٦- باقر شريف القرشي،النظام السياسي في الإسلام،بيروت، دار المعارف،١٩٨٢م،ص:٥١.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الأنبياء عملهم وفق سياسية منهجية عملت على إشاعة العدل ونشر الحق وإحلال الوفاق الاجتماعي بين الناس ولا تتحقق سلامة المجتمع من الضلال والفساد الا بسلامة فكره وعمله السياسي.

ويقرر القرآن الكريم ما للفساد السياسي من أثر كبير في تدمير المجتمع بفعل الدور الذي تلعبه السلطة السياسية الغاشمة في حياة الشعوب والأمم [٣٧] كما في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [٣٨].

يؤكد القرآن الكريم أن فعل القوى الحاكمة المجرمة في مجتمعاتها يقوم على أساس التسلط والاستكبار إرضاء لمصالحهم ويؤدي ذلك إلى تدمير هذه المجتمعات وهذا ما أشارت إليه بلقيس ملكة سبأ فيما حكاه القرآن الكريم على لسانها لذلك كان في طليعة أهداف السياسة النبوية عبر التاريخ إطلاق حريات الناس وتخليصهم من كل الأغلال والقيود التي يفرضها الطغاة [٣٩] قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٤٠].

ويميز القرآن الكريم في عروضه التاريخية نوعين من السلطات الحاكمة منها السلطة المستبدة وهذا النوع هو النموذج الفرعوني الطاغوتي الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قولهتعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [٤١].

النوع الثاني السلطة الراعية للمجتمع وهو النوع الذي جسده نبي الله داؤود عليه السلام الذي آتاه الله مع النبوة الملك والسلطان وكذلك السلطة التي تعتبر نموذجية وجسدت مفهوم الرعاية للأمة هي سلطة الرسول الأكرم ﷺ التي عبر عنها القرآن الكريم أجلُ تعبير قالتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [٤٢].

فالحاكم في الإسلام أخ للرعية وأمين على مصالحها والقرآن الكريم في ذكره لقصص

٣٧- المرجع نفسه،ص:٥٤.

٣٨- سورة الأنعام،الآية(١٢٣).

٣٩- ملحم قربان، المنهجية السياسية، الطبة الرابعة، بيروت،١٩٩٢م،ص:٣٥.

٤٠- سورة الأعراف، الآية(١٥٧).

٤١- سورة القصص، الآية(٣٨).

٤٢- سورة التوبة، الآية(١٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الأمم السالفة ذكر نماذج للفكر والعمل السياسي الواعي منها ما مارسته تلك المرأة بلقيس ملكة سبأ عند وصولها كتاب سليمان عليه السلام يدعوها فيه للدخول في طاعته التي من طاعة الله تعالى[٤٣]، قال تعالى:﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ×إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ × أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ × قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ× قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ× قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ × وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٤٤].

ونجد في العروض التاريخية التي تضمنتها آيات القرآن الكريم حديثاً موسعاً حول موقف (الملأ) كل ملأ في التاريخ وهم الحاشية أو الطبقة المحيطة بالملك أو صاحب السلطان وهي بمثابة هيئة المستشارين في نظم السياسة المعاصرة[٤٥].

قال تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ × قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٤٦]، وهكذا يوظف القرآن الكريم كثيراً من أخبار الماضي نحو التثقيف والتوعية السياسية لأثرها في مسيرة حركة التاريخ[٤٧].

ويميز القرآن الكريم في عروضه التاريخية بين نوعين من السلطات الحاكمة:

النوع الأول: هو السلطة المستبدة التي تكون وظيفتها الأساسية تغذية نفسها وتدعيم مركزها. أما النوع الثاني فهو عكس الأول: السلطة النموذجية التي جسدت مفهوم الرعاية للأمة والحفاظ على مصالحها وهي سلطة الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤٨].

٤٣- محمد مهدي شمس الدين، مرجع سابق،ص:٤٨.

٤٤- سورة النمل، الآيات(٢٩-٣٥).

٤٥- محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات وسقوطها، القاهرة المعهد العالمي بدون تاريخ طبع ،ص:٧٦.

٤٦- سورة الأعراف، الآيتان(٥٩-٦٠).

٤٧- ملحم قربان، مرجع سابق،ص:٣٧.

٤٨- سورة التوبة ، الآية(١٢).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الرابع: مجال المرابطة والجهاد:

وأوضح القرآن الكريم أهداف وغايات الجهاد بدقه اختياره لمصطلح (الجهاد) فقد تجنب استخدام لفظه الحرب وغيرها من الكلمات التي تؤدي إلى معنى القتال واستخدام كلمة الجهاد إلى معنى بذل الجهد والسعي فالعنوان الكبير تتدرج فيه المرابطة والجهاد في القرآن الكريم هو (سبيل الله) [٤٩] حيث ينادي القرآن الكريم بأعلى صوته ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [٥٠].

فالمؤمنون يقاتلون في سبيل الله وفي خط الله تعالى وهو خط صلاح البشرية ونهوض الحضارة، أما الذين كفروا يقاتلون في خط الفساد وعرقلة حركة التاريخ وهكذا تنحصر دوافع القتال في سبيل الله بالباعث الأسمى وهو الإيمان بالله تعالي والتصديق برسله وبالمطلب العاجل وهو العمل على أعلاء كلمة الله ونشر دينه وبناء الحضارة الإسلامية وبالغاية القصوى هي ابتغاء مرضاة الله ونيل ثوابه الذي أعده للمحسنين[٥١].

ولابد من التنويه إلى أن منهج السلام العالمي في الإسلام هو من طبيعة هذا الدين وقد عملت جميع الرسالات الإلهية عبر التاريخ على إشاعة السلم، ونشر روح السلام بين بني البشر فالله تعالى هو السلام، ويدعوه عباده كافة إلى الدخول فيه قالتعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [٥٢](١) تبين هذه الآية الكريمة أن الإيمان وحده هو القادر على إحلال السلام في النفس الإنسانية بعد أن يحل تناقضاتها الداخلية، وعلى إحلال السلام في المجتمع البشري بعد أن يقيم القاعدة الإنسانية الفطرية القويمة التي تقوم عليها علاقات الأفراد في جميع مجالات الحياة[٥٣].

أن القرآن المجيد يحشد العديد من آياته نحو فريضة المرابطة والجهاد قال تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [٥٤]وقال تعالى:﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٥٥]. قالتعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [٥٦].

٤٩- أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، بيروت ،بدون تاريخ طبعة، ص:١١.

٥٠- سورة النساء،من الآية(٧٦).

٥١- عبد الرحمن حسن حنبكة، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها،دمشق،١٩٧٠م ص:٣٩٥.

٥٢- سورة البقرة، الآية(٢٠٨).

٥٣- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، دار الهادي للطباعة والنشر،٢٠٠٧م،ج٢،ص:٤٩.

٥٤- سورة آل عمران، الآية(١٤٦).

٥٥- سورة البقرة، الآية(١٩٠).

٥٦- سورة التوبة، الآية(٧٣).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومن خلال دراسة آيات المرابطة والجهاد الواردة في القرآن الكريم والتي تحدثت عن مختلف الصراعات بين الحق والباطل وما حصل بين إتباعها عبر التاريخ نستنتج أن مشروعية الجهاد والمرابطة نابعة من أصل مبدأ السلم والسلام العالمي.

فالجهاد تدافع بين بني البشر يحرك الحياة ويدفع بها نحو الغايات النبيلة كما يمنح الناس استقرارهم ويصلح أوضاعهم وفي ذلك قوله تعالي: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّه النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْض لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّه كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّه مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّه لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٥٧]، فالجهاد سبيل لإخماد كل فتنه تثيرها القيادات الشيطانية المتآمرة على الإنسان لإغوائه وجره نحو منحدرات الشر والفساد وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّه بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٥٨] ويؤكد القرآن المجيد، أن ترك الجهاد، والفرار من الزحف، مدعاة إلى تعرض المجتمع إلى العذاب والإذلال قال تعالى: ﴿إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٥٩].

فأي أمة امتنعت عن الجهاد، ابتليت في حياتها بالذل والفقر والهزيمة وعلى العكس فان الأمم المجاهدة، تكون صاحبة مجد وعزة وسيادة وهذا ما أوضحه الإمام علي كرم الله وجهه في خطبة قال: فيها أما بعد،فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله توب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالإسهاب واذيل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف [٦٠].

وقد يرهن التاريخ على إن الشعوب التي تنتصر في معركة البقاء هي الشعوب التي تتصف بالشجاعة والجد والصبر [٦١].

المبحث الرابع: مجال الاجتماع والحضارة:

لم ترد كلمة (مجتمع) في القرآن المجيد بل جاءت بديلا عنها كلمات أخرى مثل (الأمة) والقرية) و(القوم) للدلالة على مفهومها كما في قوله: تعالي(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت

٥٧- سورة الحج، الآية(٤٠).

٥٨- سورة الأنفال، الآية(٣٩).

٥٩- سورة التوبة، الآية(٣٩).

٦٠- ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ،دار إحياء الكتب العربية،١٣٧٨ه/١٩٥٩م،ج٢،ص:٧٤.

٦١- محمود الشرقاوي،التفسير الديني للتاريخ كتاب القاهرة،الشعب،١٩٧٥م،ج١،ص:٢٥٩.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ولكم ما كسبتم[٦٢]. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٦٣]، وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها[٦٤](وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) [٦٥]يعني مصطلح المجتمع جماعة من الناس يعيشون معا في منطقة معينة، وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرها، وشعور بالوحدة كما ينظرون إلى أنفسهم ككيان متميز[٦٦]، فالمجتمع إذا جماعة من الناس يعيشون في كيان اجتماعي واحد ويتأثرون بعامل مشترك في العقائد والأهداف(وقد عرف مالك بن نبي واصفاً المجتمع هو ليس مجرد مجموعة من الأفراد هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين) [٦٧] ومثال لذلك المجتمع الإسلامي الذي أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام والذي ساده نظام معين له طابعه الإنساني الأصيل قالتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾ [٦٨]، المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وعليه المجتمع عبارة عن جماعة إنسانية تتحرك في مسار تاريخي معين وتبدأ من نقطة محدودة في الزمان يمكن أن تطلق عليها مصطلح ميلاد. [٦٩].

أمامصطلح الحضارة ففي معاجم اللغة العربية فهو مشتق من الفعل (حضر) وكلمة حضارة تقابل كلمة بداوة وكذلك كلمة حاضرة تقابل كلمة بادية والحضارة الإقامة الحضر والحضر هي المدينة والقرى هي الريف فالحضارة ضد البداوة وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني وقد عالج بن خلدون مفهوم الحضارة في مقدمته فاعتبر الحضارة غاية في البداوة وان أصل الحضارة في اللغة هو الإقامة والاستقرار في المدن واستخدم القران الكريم مصطلح القرية والقرى في حديثه عن إرسال الأنبياء عليهم السلام إلى المجتمعات البشرية[٧٠]،فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [٧١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً ﴾ [٧٢]

٦٢- سورة البقرة، الآية(٢٤).

٦٣- سورة فاطر، الآية(٢٤).

٦٤- سورة الأعراف، الآية(٨٢).

٦٥- طلعت همام، سين وجيم عن علم الاجتماع، بيروت ،مؤسسة الرسالة١٩٨٩م،ص٥.

٦٦- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين،دمشق،١٩٨٩م،ص١٧.

٦٧- المصدر السابق،ص٢٠.

٦٨- سورة التوبة، الآية(٧١).

٦٩- مالك بن نبي، مصدر سابق،ص٢١.

٧٠- أحمد إبراهيم الشريف، دراسات في الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي،١٩٨١م ،ص١١.

٧١- سورة الأعراف، الآية(٩٤).

٧٢- سورة الفرقان، الآية(٥١).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[٧٣]، وبما أن القرية اسم يطلق على المدينة الكبيرة وهي مدينة زعماء الأمة ورؤسائها وهي تسمي في عرف المصطلحات الحديث بالعاصمة ومنه نستوحي أن القرآن الكريم يرى أن الحضارة تبدأ من القرى ثم تعم ما حولها وأن الحضارة جزء من التاريخ أو هي نتاج جانبي للتاريخ وأن هنالك تداخل عميق وترابط بين حركة المجتمع الإنساني وبين حركة الحضارة وأن دراسة القرآن الكريم من منظور اجتماعي دقيق يدلنا على أن هذا الكتاب الكريم قد بين منهج الحضارات الإنسانية وسنن إقامتها وعوامل أسباب هلاك الأمم ودمار الحضارات قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[٧٤] وعليه فان القرآن الكريم يؤكد الترابط بين المجتمع والحضارة والتاريخ وإن المجتمعات الحضرية قد ساهمت بشكل واضح في صناعة التاريخ[٧٥].

٧٣- سورة هود، الآية(١١٧).

٧٤- سورة هود، الآية(٦١).

٧٥- سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي، في ظلال القرآن الكريم،دار الشروق،ج٢،ص٢٠-٢٥.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفصل الثالث

حركة المجتمع في القرآن الكريم

المبحث الأول: كل مجتمع له عمر محدود يعبر عنه القرآن الكريم بالآجال:

لحركة المجتمع في الحياة أثر فاعل في تحديد وتوجيه مسيرة حركة التاريخ إذ هي نتيجة نشاط المجتمع الإنساني وفعله في الزمن، وقد أعطى القرآن الكريم للمجتمع كيانه وشخصيته ودوره المسؤول في التاريخ حيث أعتبر له وجوداً وأجلاًوكتاباً وعملاً وطاعة ومعصية ولو لم يكن للمجتمع وجود حقيقي لا يصح نسبة كل هذه الفعاليات الحركية له فالقرآن الكريم يقرر لكل مجتمع كيانه وشخصيته التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى وفق خصوصيات معينة[٧٦] منها.

كل مجتمع له عمر محدود يعبر عنه القرآن الكريم بـ (الأجل) قالتعالى:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٧٧]، الأجل هو أمد مضروب لحياتها (الأمة) مقدر فيما وضع الخالق سبحانه وتعالى من السنن لوجودها ونلاحظ في هاتين الآيتين الكريمتين أن الأجل أضيف إلى الأمة إلى الوجود الاجتماعي للناس وليس لهذا الفرد وبالذات أو ذاك إذاً لكل إنسان بوصفه الفردي آجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي وهذا المجمَّع الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالأمة له أجل، له موت، له حياة، له حركة ويؤكد القرآن الكريم حتمية هذا الأجل بالساعات كواقع لا مفر منه بالنسبة للأمم التي حادت عن جادة الحق[٧٨]قالتعالى:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ × مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾[٧٩].

المبحث الثاني: كل مجتمع له كتاب يختص بحياته:

قالتعالى:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا من قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾[٨٠]، قالتعالى:﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ × هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٨١] هذه الآيات تدل أن لكل مجتمع كتاب وصحيفة أعمال تسجل فيها كل أعماله وتصرفاته التي يمارسها كما أن لكل فرد من الأفراد كتاباً يختص

٧٦- أحمد إبراهيم شريف، مرجع سابق، ص:٢٢.

٧٧- سورة الأعراف، الآية(٣٤).

٧٨- السيد محمد الباقر الصدر، المدرسة القرآنية، مؤسسة الطبع الأستانة، بدون تاريخ طبع، ص:٥٦-٥٧.

٧٩- سورة الحجر، الآيتان(٤-٥).

٨٠- سورة الحج، الآية(٤).

٨١- سورة الجاثية، الآية(٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

به، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعماله أو تصرفاته إلا أحصاها. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً×اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[٨٢].

وجود هذا الكتاب الجامع لأعمال المجتمع يعني أن الفعل التاريخي للمجتمع هو الذي يحرك التاريخ ليس الفرد، وبذلك يتحمل المجتمع نفسه نتائج أعماله ويحاسب عليها، دون تميز بين من يستحق أو لا يستحق يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٨٣]، قال ابن عباس t: (أمر الله المؤمنين إلا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب) [٨٤]، لأنه إذا وقعت الواقعة أخذت مجراها وأثرت أثرها طبيعية كانت أو اجتماعية ولا تدخل في حسابها الاشقياء والابرياء) [٨٥].

٨٢- سورة الإسراء، الآيتان(١٣-١٤).

٨٣- سورة الإسراء، الآيتان(١٣-١٤).

٨٤- تفسير القرطبي،ج٧،ص٢٤٨.

٨٥- الشيخ محمد جواد مغنية، التفسير المبين، الطبعة الثانية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٣م، ص: ٢٣٠.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث: كل مجتمع له عمله وسلوكه الخاص به:

ينسب القرآن الكريم لكل أمة عملاً خاصاً وسلوكاً معيناً فيقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٨٦]، قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٨٧].

قال: السيد محمد رشيد رضا أي ومن قوم أيضاً جماعة عظيمة يهدون الناس بالحق الذي جاءهم به من عند الله تعالي ويعدلون به دون غيره إذا حكموا بين الناس لا يتبعون فيه الهوى، ولا يأكلون السحت والرشي فالظاهر المتبادر أن هؤلاء ممن كانوا في عصره وبعد عصره حتى بعد ما كان من ضياع أصل التوراة ثم وجود النسخة المحرفة بعد السبي، فإن الأمم العظيمة لا تخلو من أهل الحق والعدل، وهذا من بيان القرآن الكريم للحقائق، وعدله في الحكم على الأمم[٨٨]. وإذا كان لكل أمة عملها وسلوكها الخاص بها، فذلك يعني أن لها تاريخها الخاص بها قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨٩]، فالآية الكريمة تشير إلى أن هذا التاريخ هوتاريخ الأمم السابقة فيما عملت وفيما كسبت ولستم مسؤولين عن كل أعمالهم في قليل أو كثير، بل هم المسئولون عن كل أعمالهم أما أنتم فلكم تاريخكم المستقل المتمثل في أعمالكم التي تكسبون بها الجنة أو النار فعليكم أن تواجهوا مصيركم من خلال ذلك وتحددوا خطواتكم العملية من خلال دراستكم للنتائج المصيرية لخطوات الأخرين[٩٠].

٨٦- سورة الأعراف، الآية(١٨١).

٨٧- سورة الأعراف، الآية(١٥٩).

٨٨- السيد محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب،١٣٦٦ه/١٩٤٧م ج٩،ص:٣٦٣-٣٦٤.

٨٩- سورة البقرة، الآية(١٣٤).

٩٠- السيد محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، الطبعة الثانية، مكتبة التفاسير ١٩٩٨م، ج٣،ص:٤٤.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الرابع: لكل مجتمع شعوره و ذوقه الذي يتميز به عن غيره:

قال تعالى:﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[٩١]، إن تزيين الأعمال للأمم عبارة عن سنة الله تعالى في أعمالها وعاداتها وأخلاقها المكسوبة والموروثة وهذه الآية تدل على أن كل أمة لها شعور واحد ومقاييس خاصة، وأسلوب خاص للتفكير وأن كل الإدراك والشعور الاجتماعي لكل أمة يختص بها وأن كل أمة لها مقاييسها الخاصة في الحكم ولكل أمة ذوق إدراكي خاص بها وربما تستحسن أمة عملاً بينما تستقبحه أمة أخرى فالجو الاجتماعي الخاص للأمة يصنع ذوقها الإدراكي وعندما يكون للأمة شعور واحد يسود كل أفرادها فمعنى ذلك أنه إذا صدر فعل عن أي فرد من أفرادها كأنما صدر ذلك الفعل عن الجميع لذا فان القرآن الكريم أحياناً ينسب الفعل الصادر عن الفرد إلى الجميع وعندما ينزل العذاب الإلهي فإنه يعم الجميع كما هو الحال في قصة ثمود، حيث أن الذي عقر الناقة شخص واحد لكن القرآن الكريم أعتبرهم جميعاً مذنبين ونسب الفعل إليهم[٩٢].

قال تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا× إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا× فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا× فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا× وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[٩٣]، وأن الذي عقرها هو الأشقى ولكنهم جميعاً حملوا النتيجة وعدوا أنهم عقروها لأنهم لم يضربوا على يده بل استحسنوا فعلته وهذا مبدأ من المبادئ الإسلامية الرئيسة في التكافل في التبعة الاجتماعية في الحياة الدنيا وأن القرآن المجيد ينسب الطاعات والمعاصي لكل فرد من الأفراد ويحمله جزاء أعماله التي أكتسبها بنفسه ليلاقي جزاءه قال تعالى:﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٩٤]،قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٩٥]، قال تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾٧﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٩٦]، سنة الله في الخلق تحتم أن يكون حصاد الإنسان من جنس ما زرع[٩٧].

٩١- سورة الأنعام من الآية(١٠٨).

٩٢- محمد سيد رضا، مرجع سابق،ص٣٦٤.

٩٣- سورة الشمس، الآيات(١١-١٥).

٩٤- سورة البقرة من الآيه(٢٨٦).

٩٥- سورة المدثر ، الآية(٣٨).

٩٦- سورة الزلزلة، الآيتان(٧-٨).

٩٧- سيد قطب، مرجع سابق،١٩-٣٩.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفصل الرابع
حركة الحضارة في القرآن الكريم

تنظم مكونات الحضارات ثلاثة عناصر أساسية لا غني لواحد منها عن أخر وهي إنسان (كينونة وزمان)وهو الكائن المعد لتحمل المسؤولية المؤهل للقيام بالدور الحضاري الذي يدخل الزمان في كينونته باعتبار الإنسان حقيقة زمانية لا تنفصل عن الزمان.

فكر(عقيدة وثقافة) وهو الموجة المعنوي لخطوات الإنسان نحو بناء الحضارة أشياء (التراب ورأس المال وشتى العوامل المادية) يدعي بالجانب المادي من الحضارة أو ما يسمى بالمدنية وقد غذى القرآن الكريم هذه العناصر الحضارية الثلاثة الإنسان، الفكر ،الأشياء أو الموجودات بشكل فاعل في سبيل تحقيق الانجاز الحضاري للإنسانية[٩٨]

المبحث الأول: الإنسان صانع الحضارة في القرآن الكريم:

حظي الإنسان باحترام بالغ، وتقدير لا يوصف في ظل القرآن الكريم حيث شرفه تعالى بمقام شامخ ومسؤولية عظيمة حيث جعله خليفة في الأرض وأمر الملائكة بالسجود له قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً من طين× ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه من رُّوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[٩٩]، تحدث القرآن الكريم عن أعباء و خطورة هذه الخلافة للإنسان بوصفها أمانة عظمى أشفق الكون عن حملها، قالتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[١٠٠]. وقال: تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[١٠١]،كل ذلك حتى يؤدي الإنسان دوره في الاستخلاف كدحا متواصلاً طوال مسيرة حياته قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[١٠٢] وهذه الآية تؤكد أن هذه الخلافة حركة دائبة نحوقيم الخير والعدل والقوة لذلك كرس الأنبياء جهودهم عبر التاريخ على صقل الإنسان وتهذبيه[١٠٣].

والإنسان سيد الأرض بصلاحه تصلح الحياة وتندفع إلىالرقي والازدهار وعلى العكس فإن فساده وخراب شخصيته يجر هذا العالم إلى الظلام الدامس ولذلك استحققت بعض المجتمعات لعنات وغضب الله تعالى عليها.

٩٨- مالك بن بني، مرجع سابق،ص:٢٧.

٩٩- سورة ص، الآيتان(١٧-٧٢)

١٠٠- سورة الأحزاب، الآية(٧٢).

١٠١- سورة الإسراء، الآية(٧٠)

١٠٢- سور الإنشقاق الآية(٦)

١٠٣- السيد محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، بيروت، دار المعارف، ١٩٧٩م ، ص: ٢٢.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثاني: الفكر موجه للحضارة في القرآن الكريم:

وهو ما يصطلح عليه بالمقوم الثقافي للحضارة ويقصد به ذلك النشاط الفكري، الغني، وما يصدر عنه من ضروب المعرفة والتصورات الجمالية وبهذا يدخل في نطاق المقوم الثقافي للحضارة جميع الفنون والفلسفات على اختلاف مذاهبها وألوانها إذ أن الحضارة هي كل معقد ومركب نسيج متشابك من أفكار الإنسان ومعتقداته ونشاطاته وفي القرآن الكريم دعوة جادة إلى تنشيط العقل والروح نحو بناء هذه الموجة الحضاري وقد حثت آيات القرآن الكريمة الإنسان بشكل موسع إلى التبصير بحقيقة نفسه ووجوده وارتباطه بالكون ليتعرف عن وعي على آيات الله تعالى في الأفاق والأنفس[١٠٤] .

قال تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[١٠٥]، وقد دعا القرآن الكريم إلى دراسة حركة التاريخ وكيف بدأ الخلق والنواميس الاجتماعية والتعرف على آيات الله تعالى في خلقه وأن الغفلة عن إدراك آيات الله تعالى في هذا الكون تفقد الإنسان ميزاته الأساسية وأمانته التي حمله الله إياها والسلطان الذي أعطاه له ويصير الإنسان المكرم في أسفل سافلين[١٠٦]

قالتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١٠٧] وخطى القرآن الكريم خطوة أبعد من عملية التفكير والتثقيف عندما دعي إلى توجيه هذا الفكر وهذه الثقافة توجيهاً حركياً داخل المجتمع على كل المستويات الروحية والأخلاقية وقد منح الله تعالى أنبياءه العظام الحكمة[١٠٨]، ليعلموها للناس قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[١٠٩] ، فالحكمة هي توظيف وتوجيه الكتاب نحو التمسك به في الخط العملي في الحياة والحكمة هي القدرة على توجيه الأفكار وعندما تحدث القرآن المجيد عن ملك داود عليه السلام قرن معه الحكمة باعتبارها عنصرا أساسيا في مسيرة الحكم والملك وهي أساس بناء الحضارة الإنسانية وعمل القرآن الكريم على توجيه الفكر والثقافة الإسلامية في اتجاه البناء الحضاري فكذلك كان من أولى مهام الأنبياء عليهم السلام بناء الأخلاق وتشيدها في النفوس وهو الهدف الأسمى الذي جاء الإسلام من أجل تحقيقه وصدق رسول الله عليه السلام حيث قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [١١٠].

١٠٤- أحمد إبراهيم الشريف، مرجع سابق، ص:٦٤.

١٠٥- سورة فصلت، الآية(٥٣)

١٠٦- جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري،١٩٨٤م،ص: ١٨٣- ١٨٤.

١٠٧- سورة الأنفال، الآية(٢٢)

١٠٨- مالك بن نبي، مرجع سابق،ص:٦٧.

١٠٩- سورة الجمعة، الآية(٢)

١١٠- غوستان لوبون،السنن النفسية لتطوير الأمم ، الطبعة الثانية ،مصر ،دار صادر،١٩٧٥م،ص:١٧٢.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث: الأشياء أو الموجودات وأثرها الحضاري في القرآن الكريم:

يؤكد القرآن الكريم في آيات عديدة أن الله تعالى قد سخر مافي الكون لخدمة الإنسان، ليقوم بدوره الحضاري في حظ الاستخلاف في الأرض قال تعالى:﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ× وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ× وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١١١]وقالتعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١١٢].وتفسيرذلك أن الله تعالى قد وضع للبشر كنوزاً في السماء والأرض والبحار والأنهار والأشجار والدواب والزواحف والطيور وعلى الإنسان أن يعمل وفق القواعد والأسس العلمية الصحيحة وأن الله سبحانه وتعالى لم يضع هذه الكنوز وضعاً عشوائيا بل حسب معدلات وقواعد علمية محدودة وقد بين القرآن الكريم من خلال التاريخ نماذج للعلاقة بين الإنسان والطبيعة وكيفية استثارتها وتسخيرها بشكل متوازي كما حصل لداوود وسليمان عليهما السلام فاستطاعا أن يبنيا حضارة سامقة وذلك ماحدثنا به القرآن المجيد وقد أشارت العديد من آيات القرآن الكريم إلى قمة الاندماج الحضاري الفاعل بين الإنسان الكامل والقوى غير المرئية والطبيعية[١١٣]. وهذا لا يتحقق إلا في ظل رسالة الإسلام وذلك ما تصرح به الآية المباركة قال تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[١١٤].

وعليه تمثل مسألة الإيمان بالله تعالى في حركة الدين المعامل الأساسي والحضاري الذي يدفع الإنسان المؤمن بإرادته لأن يمتزج مع الزمن والتراب لتوجه نحو الاتجاه الصحيح في الحياة لأن العقائد والمبادئ تنزل إلى أعماق الأمة وتخالط وجدان الإنسان وبالتالي تصبح القدرة الحقة المحركة للتاريخ الاجتماعي والحضاري للأمم وعليه كانت مناهج الأنبياء تركز على العقيدة قبل كل شئ وهذا ما أعتمده القادة المصلحون والثوار الاجتماعيون والمحاربون عبر التاريخ لتحقيق أغراضهم ونيل أهدافهم[١١٥].

١١١- سورة إبراهيم ،الآيات(٣٢-٤٣

١١٢- سورة الجاثية، الآية(١٣)

١١٣- عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الصحوة،١٤١٤ه/ ١٩٩٤م ،ص:٢٢.

١١٤- سورة الأعراف الآية(٩٦).

١١٥- محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات، دار الوفاء للطباعة والنشر،١٩٩٧م ،ص:١٨٨-١٨٩.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفصل الخامس

نهوض المجتمعات والحضارات والانحطاط في القرآن الكريم

المبحث الأول: العدل والظلم:

المجتمعات والحضارات كيانات حية قابلة للنهوض والانحطاط وللحياة والموت وتحدث القرآن الكريم عن دور الرسول ﷺ في أحياء ونهوض المجتمع قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١١٦]، فهي دعوة إلى الحياة بكامل صورها وبكل معانيها أنه يدعوهم إلى عقيدة تحي القلوب والعقول يدعوهم إلى شريعة من عند الله سبحانه وتعالى توضح تكريم الإنسان إلى منهج للحياة وللفكر والتصور يدعوه إلى القوة والعزة والرفعة بعقيدتهم ومنهجهم يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله وأن هذا الدين منهج حياة كاملة منهج واقعي تنمو الحياة في ظله و تترقى[١١٧].

كما تحدث القرآن الكريم أيضاً عن انحطاط المجتمعات وسقوط الحضارات قالتعالى: ﴿وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾[١١٨].

وعليه فإن القرآن الكريم يطرح على البشرية خلال عروضه التاريخية أهم الأسباب والعوامل لقضية نهوض المجتمعات والحضارات ونذكر منها على سبيل المثال.

١. العدل والظلم :

العدل يشكل أحد العناصر الأساسية في تركيبة البناء الاجتماعي فهو له تأثيره الكبير على بقية العناصر الأخرى التي تؤلف البناء الاجتماعي والعدل في مختلف مجالات الحياة فهوامتداد للعدل الكوني مما يتعين معه أن يكون الإنسان عادلا في سلوكه منسجما مع البيئة الكونية وإلا كان غريبا شاذا[١١٩].

والأمة التي يسودها العدل وهي الأمة الراقية والمتقدمة حضارياً وهي التي يشعر فيها كل إنسان بكرامته وحريته وينعم بالأمان الذي يسود الأمة كلها[١٢٠].

١١٦- سورة الأنفال، الآية،(٣٥).

١١٧- سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص:١٤٢٤.

١١٨- سورة الإسراء، الآية،٥٨.

١١٩- أنيس الأبيض،بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية،طرابلس،١٤١٤ه/١٩٩٤م،ص:٩٤.

١٢٠- كريم جبر الحسن،عملية النهوض الحضاري،بروت،١٤١٣ه/١٩٩٣م،ص:٢٠٨.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وكما هو معلوم أن الظلم ضد العدل وهو أكبر عامل فساد في المجتمع وانعدام الحضارات قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[١٢١]، قال الفخر الرازي: (أن المراد من الظلم في هذه الآية الشركً والمعني أن الله سبحانه تعالى يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم يعامل بعضهم على الصلاح وعدم الفساد[١٢٢]، فالآية المباركة تفيد أن المجتمع إذا كان عادلا بمعني أن الناس لا يظلمون أنفسهم ولا يتظالمون فيما بينهم، فهذا المجتمع مع كفره بالله تعالى يبقى قائماً أو ليس من سنة الله تعالى إهلاك الناس بكفرهم فقط ولكن إذا مارسوا الظلم إلى جانب كفرهم فإن عاقبتهم ستؤول إلى الدمار والهلاك وفي هذا السياق يقول القرطبي في تفسيره للآية المذكورة أن الله تعالى لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد كما أهلك قوم شعيب ببغي المكيال والميزان وقوم لوط باللواط ودلَّ هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك[١٢٣].

كذلك بين القرآن الكريم في قصة فرعون وبني إسرائيل كيف أن أهل مصر من آل فرعون بعد أن وصلوا إلى مستوى الرقي والازدهار الحضاري، حل بهم العذاب والدمار بسبب الظلم والطغيان الذي مارسه فرعون وجنوده بحق بني إسرائيل قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[١٢٤]، فالآية المباركة تعتبر طغيان فرعون واستعلاءه على بني إسرائيل وظلمه بأشكال مختلفة بإثاراتالنعرات الطائفية بينهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم كان السبب في افساد مجتمع أهل مصر وانعدام حضاراتهم كما يؤكد القرآن الكريم في آيات أخرى أن الظلم سبب محق المجتمعات الغابرة قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾[١٢٥]، كذلك قال: تعالى:﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[١٢٦]

وقد أوضح ابن خلدون في مقدمته سنن سقوط الحضارات وانعدام المجتمعات وذهاب الدول فرأى أن الظلم مؤذن بخراب العمران كما أشار إلى ذلك في عنوان (في أن الظلم مؤذن بخراب العمران) فقال: واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم

١٢١- سورة هود الآية(١١٧)

١٢٢- الفخر الرازي، التفسير الكبير ،مصدر سابق،ص:٧٦.

١٢٣- تفسير القرطبي،مرجع سابق، ج٩،ص:٦٧.

١٢٤- سورة القصص الآية(٤).

١٢٥- سورة إبراهيم الآية(١٣).

١٢٦- سورة هود الآية(٦٧).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك بانقطاع النوع البشري[١٢٧].

ويقول الأمام الماوردي عن أثر الجور في خراب العمران ودمار المجتمعات: ليس شئ أسرع لخراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل[١٢٨].

المبحث الثاني: الاتحاد والتفرق:

أن الوحدة والتآلف والتحابب والتعاون كلها عناوين تنصب في وحدة البناء الاجتماعي والحضاري للإنسانية وقد جاءت الآيات القرآنية المباركة تؤكد على ذلك قال تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٢٩]، كذلك قال تعالى:﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٣٠]. قال تعالى:﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٣١]وإنما كان الاختلاف أو التنازع أو التفرق سبباً من أسباب انحطاط الأمم وسقوطها باعتباره علة في تشتتها فيؤدي إلى ضعفها لأن قوتها وهي مجتمعةأكثر من قوتها وهي متفرقة وقوة كل فرقة هي ضعف من قوة الأمة مجتمعه وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرئ العدو عليها فيطمع فيها ويحتل أرضها ويستولى عليها ويستعيدها ويمسح شخصيتها وفي ذلك انقراضها وهلاكها [١٣٢] .أن سقوط بغداد وانهيار الدولة العباسية كان من أهم أسباب الخلاف والتفرقة بين الخليفة ووزرائه وبين طوائف الشعوب ومذاهبها بحيث يتفق بعضهم مع هولاكو ضد الحكم العباسي الأمر الذي أدى إلى عملية السقوط المرعب لبغداد [١٣٣]،ويذكر القرآن الكريم بما جرى للأمم السابقة من هلاك وعذاب ودمار بسبب تفرقها واختلافها قال تعالى:﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٣٤].

١٢٧- ابن خلدون، المقدمة، الطبعة الأولى، دار النشر للطباعة،١٩٩٨م، ص: ١٨٦.

١٢٨- الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفي السقا، الطبعة الرابعة، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٣٩٨ه١٩٧٨م ،ص:١٤١.

١٢٩- سورة آل عمران، الآية(١٠٣).

١٣٠- سورة المائدة، الآية(٢).

١٣١- سورة الانفال، الآية(٤٦).

١٣٢- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ،دار السلام للطباعة والنشر،١٩٩٨م،ص:١٣٩.

١٣٣- كريم جبر حسن،عملية النهوض الحضاري، بيروت ،دار المنهل، ١٩٨٧م،ص:٢٠٠.

١٣٤- سورة آل عمران، الآية(١٠٥).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والمراد بالذين تفرقوا أهل الكتاب حيث افترقت اليهود بعد نبيهم موسي إلى أحدى وسبعين فرقة والنصارى إلى اثنين وسبعين فرقة بعد نبيهم عيسي وأما السر لهذا التأكيد والاهتمام باجتماع الأمة واتحادها فلأن الشقاق مادة الفساد ولأن الأمة المتفرقة لا تصلح للحياة [135].

المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدمهما:

يمثل هذا المبدأ فرضاً من الفرائض الثابتة في جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء جيلا بعد جيل يقول الله تعالى:﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ × يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[١٣٦]، في هذه الآية بين الله تعالى أنه ليس كل أهل الكتاب على حد سوا بل منهم مجتمعات صالحة مؤمنة بالله تعالى تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر حيث مدحهم بوعيهم وعملهم بهذه الفريضة كما مدح الله تعالى المسلمين كأمة ومجتمع لوعيهم وعملهم بها قال تعالى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [١٣٧].

فعدم الالتزام بهذا المبدأ يمثل عاملاً كبيراً في فساد المجتمع وانهيار الحضارة فالمجتمعات التي يمارس أفرادها المنكرات كالبغي والظلم والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك ولا يتناهى إفرادها عنه سوف يؤدي كل ذلك إلى هدم المجتمع وسقوطه كما يقول الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ × كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[١٣٨].يبين هذا النص الشريف أن سبب اللعنة التي حلت بالمجتمع الإسرائيلي كانت نتيجة لعدم التزامهم بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي كان لا ينهى أحد منهم أحدا عن ارتكاب المعاصي والمآثم والمحارم[١٣٩]، واللعن هنا ليس عقاباً روحياً أخروياً فقط إنه هنا يأخذ معنى سياسيا إن اللعن هو البعد والطرد عن رحمة الله ورعايته وهذا يعني أن الملعون يتعرض للنكبات السياسية والاجتماعية التي تؤدي به في النهاية إلى الانحطاطها والدمار[١٤٠].

و جاء في تعليق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على هذا النص المبارك أنه قال: (كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتضطره

١٣٥- الشيخ محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف،دار الأنوار،٢٠١١م، ج٢،ص:١٢٧.

١٣٦- سورة آل عمران، الآيتان(١١٣-١١٤).

١٣٧- سورة آل عمران، الآية(١١٠).

١٣٨- سورة المائدة، الآيتان(٧٨-٧٩).

١٣٩- تفسير ابن كثير،ج٢،ص:٨٥.

١٤٠- الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مرجع سابق،ص:١٢٨.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

على الحق أطراً[١٤١]،ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم) [١٤٢].

أيضاً قال:r ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا [١٤٣].

وعليه كل ما تمسك المجتمع في حضارة ما أكثر بمبادئ القيم والأخلاق والأمانة والصدق والصبر والإخلاص كلما تقدم ذلك المجتمع أكثر فأكثر وعلى العكس فإذا افتقد هذه الأسس الأخلاقية سار في اتجاه الانحطاط والتفكك حتى يسقط ويذكر القرآن الكريم مصير الأمم السابقة التي جنحت بأخلاقها وسلوكها عن سواء السبيل وارتكبت الذنوب والفواحش فكانت عاقبتها وخيمة مثل قوم لوط وشعيب وغيرها قال تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ × إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ×وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ×فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ×وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[١٤٤].

قال: تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٤٥].

هكذا فإن المصير الذي لاقته المجتمعات السابقة يؤكد إن السلوك الأخلاقي المنحرف هو طريق الانهيار الحضاري كما ذكر غوستاف لوبون من أسباب سقوط الأمم وانحطاطها هو الانحطاط الأخلاقي عندما قال: (نحن إذا بحثنا في الأسباب التي أدت إلى انهيار الأمم وانحطاطها وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيراً نشأ عن انحطاط أخلاقها) [١٤٦].

وأن غياب الفضائل والقيم الأخلاقية الفاضلة عن المجتمع يدفعه إلى الانغماسفي الترف والشهوات فيجعل ذلك المجتمع محارب لكل مساعي الخير والصلاح في الحياة قال

١٤١- معناه تعطفوه عليه ،انظر لسان العرب أ طر ج١،ص:٩١.

١٤٢- رواه عبد الله بن مسعود، سنن ابن ماجه،ج٢،كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث٤٣٣٧،ص:٥٢٥.

١٤٣- رواه جرير سنن أبي داوود ،ج٢،كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي رقم الحديث٣٣٩،ص:٥٦٢.

١٤٤- سورة الأعراف الآيات(٨٠-٨٤).

١٤٥- سورة الأعراف، الآيتان(٨٥).

١٤٦- غوستان لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية ،مصر دار المعارف،١٩٥٧م،ص:١٧٢.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[١٤٧].

في سياق هذه الآية المباركة يقول: العلاقة بن خلدون إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حمله على ارتكاب المذمومات والرذائل وتفقد الفضائل السياسية منهم جملة وهكذا تنهار المجتمعات وتسقط الحضارات بسبب الفساد الأخلاقي وهذا ما تعانيه الحضارة الغربية منذ زمن بعيد كذلك انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان يسمى بالقوة العظمى كذلك المجتمعات الأمريكية . وذلك قوله تعالى:﴿اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً × أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾[١٤٨].

١٤٧- سورة الإسراء، الآية(١٦).

١٤٨- سورة فاطر، الآيات(٤٣-٤٤)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة:

الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

هذه الدراسة تناولت دور القرآن الكريم في توظيف وقراءة حركة التاريخ ،وأن القرآن الكريم يمثل دستور النهضة الإنسانية الكاملة، وعليه استخدم عنصر التاريخ في كثير من الآيات المباركة ولذلك عمل على توظيف وقائع التاريخ الماضية حتى تكتمل الرؤية العملية للإنسان وفي القرآن الكريم آيات عديدة تحث على السير في الأرض والنظر في الكون ودراسة ماضي وتاريخ الأمم السابقة حتى يتمكن الإنسان من أخذ العبرة والعظة في حياته.

النتائج والتوصيات:

النتائج:

أولاً: القرآن الكريم استخدم عنصر التاريخ في كثير من الآيات المباركة لتوضيح وقائع وأحداث الماضي حتى تكتمل عملية العظة والاعتبار.

ثانياً: آيات القرآن الكريم مليئة بالقيم الإنسانية والتوجيهات الحضارية التي تعبر عن رحلة الأمم السابقة.

ثالثاً: يحث القرآن الكريم على التدبر والنظر في حركة التاريخ.

رابعاً: لابد للمسلم أن يعمل في حياته من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية كتاباً وسنة.

خامساً: أن مثل هذه الدراسات توضح العلاقة الوثيقة بين آيات القرآن الكريم وتاريخ الأمة.

التوصيات:

أولاً: أوصي كل مسلم أن يساهم في إيجاد الأرضية الصالحة لتطبيق أحكام الله .

ثانياً: لابد من البحث في مسيرة تاريخ البشرية من ناحية قرآنية حتى يتم الوصول إلى الحقائق الحضارية.

ثالثاً: لابد من التدبر في آيات القرآن الكريم من ناحية تاريخية حتى يتم التعرف على أحوال الأمم الماضية من خلال تاريخها .

رابعاً: يعيش مجتمعنا الإسلامي اليوم في واقع مؤلم وعليه لابد للقائمين على الأمر ان يهيئوا للدعاة والعلماء المسلمين ما يساعدهم على نشر الدعوة والتمكين لها.

خامساً: إن طلاب العلم اليوم بحاجة للثقافة وفقه القرآن الكريم والسنة النبوية علماً وعملاً وسلوكاً وقلباً وغالباً.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع:

المصادر:

- القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة.

- المراجع:

١. أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، بيروت، دار الفكر ،بدون تاريخ طبعة.
٢. أبو علي مسكوبه، تجارب الأمم، تحقيق الدكتور أبو القاسم أمامي إيران ، طهران ،دار سروش(١٤٠٧ه/١٩٨٧م).
٣. أحمد إبراهيم الشريف، دراسات في الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي،١٩٨١م
٤. أنيس الأبيض،بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، ١٤١٤ه/١٩٩م.
٥. إبراهيم الحيدري،الحضارة والمدنية أطروحات في النظرية الاجتماعية والمجتمع،الجزائر، عنابة ١٩٨٣.
٦. ابن خلدون، المقدمة الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.
٧. ابن أبي حديد ن شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨ه/١٩٥٩م.للطباعة والنشر،٢٠٠٧م المؤسسة الدولية للدراسات والنشر،١٩٩٧م.
٨. باقر شريف القرشي،النظام السياسي في الإسلام،بيروت، دار المعارف،١٩٨٢م
٩. جان فورآستيه،معايير الفكر العلمي،ترجمة فايزكم نقش،الطبعة الثانية، بيروت١٩٨٤م.
١٠. جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري،١٩٨٤م.
١١. رواه جرير سنن أبي داوود ،ج٢،كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي رقم الحديث٣٣٩.
١٢. رواه عبد الله بن مسعود، سنن ابن ماجه،،كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ج٢، رقم الحديث٤٣٣٧.
١٣. السيد محمد الباقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، بيروت، دار المعارف ١٩٧٩م.
١٤. السيد محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، مكتبة التفاسير الطبعة الثانية ١٩٩٢
١٥. السيد محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب،١٣٦٦ه/١٩٤٧م
١٦. الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام على، الطبعة الرابعة، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر،١٩٩٧م،

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

١٧. الشيخ مرتضى المطهري،التربية والتعليم في الإسلام،بيروت، دار الهادي ١٩٩٣م.
١٨. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، دار الهادي
١٩. الشيخ محمد جواد مغنية، التفسير المبين، الطبعة الثانية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٣م،
٢٠. عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الصحوة،١٤١٤ه/ ١٩٩٤م
٢١. محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات، دار الوفاء للطباعة والنشر،١٩٩٧م
٢٢. محمود الشرقاوي،التفسير الديني للتاريخ كتاب القاهرة،الشعب،١٩٧٥م.
٢٣. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم الملاي
٢٤. سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي، في ظلال القرآن الكريم،دار الشروق، بدون تاريخ طبع.
٢٥. طلعت همام، سين وجيم عن علم الاجتماع، بيروت ،مؤسسة الرسالة١٩٨٩م.
٢٦. عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ علم إسلامي، بدون تاريخ طبع
٢٧. عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ،دمشق،١٩٧٠م
٢٨. عبد العزيز كامل، القرآن والتاريخ، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني ،١٩٨٢م.
٢٩. عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، الطبعة الثانية، بيروت، الدار الشامية
٣٠. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ،دار السلام للطباعة والنشر،١٩٩٨م
٣١. عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ه
٣٢. غوستان لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية ، مصر دار المعارف،١٩٥٧م.
٣٣. غوستان لوبون،السنن النفسية لتطوير الأمم ، الطبعة الثانية ،مصر ،دار المعارف ، ١٩٧٥م ترجمة عادل زعيتر.
٣٤. كريم جبر الحسن، عملية النهوض الحضاري،بروت، دار المنهل،١٤١٣ه/١٩٩٣م
٣٥. محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة عباس حمود،القاهرة،١٩٦٨م.
٣٦. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق،١٩٨٩م.
٣٧. محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف،دار الأنوار،٢٠١١م

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٣٨. محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٠ه/١٩٨٠م.٣٩. ملحم قربان، المنهجية السياسية، بيروت، الطبعة الرابعة،١٩٩٢م

٤٠. محمد عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م

٤١. محمد هيشور، سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات، دار الوفاء للطباعة والنشر ،١٩٩٧م

٤٢. يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، الطبعة الثانية، بيروت ، مؤسسة الرسالة،١٣٩٩ه-١٩٧٩م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com